



أكاديمية الإمام الذهبي

للعلوم الشرعية

شرح

مائة المعاني والبيان

لزين الدين أبي الوليد محمد بن محمد الحلبي الحنفي المعروف بـ ابن الشحنة

(ت: ٨١٥هـ)

المحاضرة الثانية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ لِلَّهِ البَدِيعِ الهَادِي، إِلَى بَيَانِ مَهْيَعِ الرِّشَادِ، أَمَدَّ أَرْبَابِ النُّهْيِ وَرَسَمَا، شَمْسَ البَيَانِ فِي صُدُورِ العُلَمَاءِ، فَأَبْصَرُوا مَعْجَزَةَ القُرْآنِ، وَاضْحَةً بِسَاطِعِ البَرهَانِ.

ثُمَّ صَلَاةَ اللَّهِ مَا تَرَنَّمَا، حَادٍ يَسُوقِ العَيْسَ فِي أَرْضِ الحَمَى، عَلَى نَبِينَا الحَبِيبِ الهَادِي، أَجَلٍ كُلِّ نَاطِقٍ بِالصَّادِ، مُحَمَّدٍ سَيِّدِ خَلْقِ اللَّهِ، العَرَبِيِّ الطَّاهِرِ الأَوَّاهِ، ثُمَّ عَلَى صَاحِبِهِ الصَّدِيقِ، حَبِيبِهِ وَعَمَرَ الفَارُوقِ، ثُمَّ أَبِي عَمْرٍو إِمَامِ العَابِدِينَ، وَسَطْوَةِ اللَّهِ إِمَامِ الزَّاهِدِينَ، ثُمَّ عَلَى بَقِيَّةِ الصَّحَابَةِ، ذَوِي التَّقَى وَالفَضْلِ وَالإِنَابَةِ، وَالمَجْدِ وَالفُرْصَةِ وَالبِرَاعَةِ، وَالحَزْمِ وَالنَّجْدَةِ وَالشَّجَاعَةِ، مَا عَكَفَ القَلْبَ عَلَى القُرْآنِ، مَرْتَقِيًا لِحَضْرَةِ العَرَفَانَ. أَمَا بَعْدُ: فَهَذِهِ هِيَ المَحَاضِرَةُ الثَّانِيَّةُ مِنْ مَحَاضِرَاتِ شَرْحِ مَنظُومَةِ مِائَةِ البَيَانِ وَالمَعَانِي، لِابْنِ الشَّحْنَةِ الحَنْفِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ، التَّابِعَةُ لِلْفَصْلِ الدِّرَاسِيِّ الثَّانِي، مِنْ السَّنَةِ الدِّرَاسِيَّةِ الثَّلَاثَةِ، فِي أَكَادِمِيَّةِ الإِمَامِ الذَّهَبِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ. فَأَقُولُ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقَ وَمِنَهُ العَوْنُ وَالتَّسْديدُ:

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَصَلَّى اللَّهُ
مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ
فِي عِلْمِي الْبَيَانِ وَالْمَعَانِي
أَبْيَاطًا عَنْ مِائَةٍ لَمْ تَزِدْ
عَلَى رَسُولِهِ الَّذِي اصْطَفَاهُ
وَبَعْدُ قَدْ أَحْبَبْتُ أَنِّي أَنْظِمًا
أَرْجُوزَةً لَطِيفَةَ الْمَعَانِي
فَقُلْتُ غَيْرَ آمِنٍ مِنْ حَسَدِ

الشرح:

ذكر العلماء على أن المقدمات على ضربين:

- **مقدمات العلم:** وهي التي يتوقف عليها فهم العلم والشروع فيه ويعبر عنها بالمبادئ العشرة.
- **مقدمات كتاب:** وهي ألفاظ قدمت أمام المقصود؛ لارتباط المقصود بها، وللانفتاح بها، ولا يتوقف عليها فهم هذا العلم ولا الشروع فيه، والتي يذكر فيها عادة ثمانية أشياء، أربعة على سبيل الوجوب الصناعي وهي: البسملة - الحمدلة - الشهاداتان - الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم، وأربعة على سبيل الاستحباب الصناعي وهي: قول: أما بعد - تسمية المؤلف نفسه - تسمية المؤلف كتابه - براعة الاستهلال.

قوله: **بسم الله الرحمن الرحيم:**

قال محمد الأمين الأثيوبي الهري رحمه الله: اعلم أيضا أنه ينبغي لكل شارح في فن أن يتكلم عن البسملة طرفا مما يناسب ذلك الفن الذي يريد الشروع فيه، ليكون قائما بحقين، حق البسملة، وحق ذلك الفن الذي يشرع فيه، والتكلم عليها من غيره يفوت الحق الثاني، وترك الكلام عليها رأسا قصور إن كان عن عجز أو تقصير إن كان مع قدرة. اهـ

ما يتعلق بالبسملة من علم المعاني:

- مقتضى الحال أن يقدر معها فعل خاص مؤخر، أي: بسم الله الرحمن الرحيم أولف.

أما كونه فعل؛ فلأن الأصل في العمل للأفعال.

وأما كون الفعل خاصا أي: أولف أو أنظم؛ فلأنه أمس بالمقام، فلو جعل اللفظ عاما - أبدأ - فإنه لا يشعر بما جعلت البسملة له وهو التأليف أو النظم.

وأما كون الفعل مؤخرًا؛ لإفادة الاهتمام باسمه تعالى، ولأن المقام مقام استعانة بالله عز وجل، وإفادة الحصر والقصر، كما في قوله تعالى {إياك نعبد وإياك نستعين}

ما يتعلق بالبسملة من علم البيان:

أن الباء حقيقتها الإلصاق، وهو حقيقي، كأمسكت بزيد، ومجازي، نحو: مررت بزيد.
وأما الباء في البسملة للاستعانة، فتكون استعارة تبعية.

ما يتعلق بالبسملة من علم البديع:

- فيها ما يسمى بالمذهب الكلامي، وهو: أن يساق المعنى بدليله، كما في تعالى: { لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلهة إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا } أي: والدليل على عدم وجود آلهة تستحق العبادة إلا الله عدم فساد الدنيا والآخرة، فكذلك في البسملة، فقوله: بسم الله الرحمن الرحيم، في قوة قولنا: لا أبتدىء إلا باسم الله؛ لأنه الرحمن الرحيم .

- وفيها أيضاً ما يسمى بالإدماج، وهو: أن يضمن الكلام المسوق لغرض غرضاً آخر، وبيان ذلك: أن الغرض الأصلي من البسملة التبرك والاستعانة باسمه تعالى، فبعد أن ذكر هذا الغرض منها أدمج فيها الثناء على الله تعالى بكونه رحماناً رحيماً .

● وقد ابتدأ بالبسملة اقتداء بكتاب الله، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الفعلية، وأما حديث " كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ب بسم الله الرحمن الرحيم فهو أبتى - وفي رواية: أقطع - وفي رواية: أجزم - " فقد ضعفه بعض أهل العلم.

قوله: **الْحَمْدُ لِلَّهِ**: الحمد هو الإخبار عن محاسن المحمود مع حبه وتعظيمه، سواء أنعم على الحامد أم لا. فإذا خلا عن الحب والتعظيم فهو مدح، وإذا تكرر الحمد فهو ثناء، وإذا كان في مقابلة الإحسان والإنعام فهو الشكر، وعبر بالجملة الاسمية؛ لتفيد معنى الثبوت والاستقرار.

وذكر الحمدلة بعد البسملة اقتداء بكتاب الله عز وجل فإنه مبدوء بهما كذلك في قوله { بسم الله الرحمن الرحيم * الحمد لله رب العالمين }

قوله: **وَصَلَّى اللَّهُ**: الصلاة لغة الدعاء، وقد اختلف العلماء في معنى الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم على أقوال أشهرها: أنها ثناء الله عز وجل على عبده في الملأ الأعلى، قال الإمام البخاري رحمه الله:

قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: " صَلَاةُ اللَّهِ: تَنَاوُهُ عَلَيْهِ عِنْدَ الْمَلَائِكَةِ، وَصَلَاةُ الْمَلَائِكَةِ الدُّعَاءُ " وقال ابن حجر رحمه الله:
"وَأَوَّلَى الْأَقْوَالِ مَا تَقَدَّمَ عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ" اهـ

وعبر بالجملة الفعلية؛ ليفيد معنى التجدد والاستمرار، فكأنه يقول: ثناء الله على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم متجدد ومستمر في كل وقت وحين.

وتحتمل أن يكون قوله " وصلى الله " جملة خبرية لفظا ومعنى، ويكون المراد الإخبار عن صلاة الله على نبيه صلى الله عليه وسلم، وتحتمل أنها جملة خبرية لفظا إنشائية معنى، ويكون المراد الدعاء للنبي صلى الله عليه وسلم.

قوله: **عَلَى رَسُولِهِ الَّذِي اصْطَفَاهُ مُحَمَّدٌ**: عَنْ أَبِي عَمَّارٍ شَدَّادٍ، أَنَّهُ سَمِعَ وَائِلَةَ بِنْتِ الْأَسْقَعِ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ. م

وقد ورد اسمه صلى الله عليه وسلم في القرآن بلفظين الأول منهما "أحمد" وذكر في القرآن مرة واحدة {وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ} والثاني منهما "محمد" وقد تكرر في القرآن في أربعة مواضع منها قوله {محمد رسول الله}.

أما اسم أحمد، فهو اسم تفضيل، فيكون معناه أن الحمد واقع منه، أي: أنه صلى الله عليه وسلم أحمد الخلق لله سبحانه وتعالى.

وأما اسم محمد، فهو اسم مفعول، فيكون معناه وقوع الحمد عليه، أي: أنه صلى الله عليه وسلم يحمده لكثرته ما يقتضي أن يحمد عليه، ولهذا قال ابن القيم رحمه الله: " فلما كان رسول الله مشتتملا على ما يقتضي أن يحمد عليه مرة بعد مرة سمي محمدا، وهو اسم موافق لمسماه، ولفظ مطابق لمعناه " اهـ

وروى البيهقي عن أبي الحسن التنوخي رحمه الله تعالى أنه لما كان يوم السابع من ولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم ذبح عنه جده ودعا قريشا ، فلما أكلوا قالوا: يا عبد المطلب ما سميتاه؟

قال: سميتاه محمدا، قالوا: لم رغبت به عن أسماء أهل بيته؟ قال: أردت أن يحمده الله في السماء وخلقته في الأرض.

قوله: **وَأَلِه**: أصله أهل، بدليل أن تصغيره أهيل، وهذا اللفظ يستعمل في الأشراف العقلاء خاصة.

وقد اختلف في آل النبي صلى الله عليه وسلم على عدة أقوال ذكرها ابن القيم رحمه الله، والجمهور على أنهم الذين حرمت عليهم الصدقة.

قوله: وَسَلَّمًا: دعاء له صلى الله عليه وسلم بالسلامة من النقائص والعيوب، وقد جمع المصنف رحمه الله بين الصلاة والسلام؛ اقتداء بقوله {صلوا عليه وسلموا تسليما} قال النووي رحمه الله: "وقد نص العلماء رضى الله عنهم على كراهة الاقتصار على الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم من غير تسليم والله اعلم" اه **قوله: وَبَعْدُ:** كلمة يؤتى بها للانتقال من أسلوب لآخر، أو عند الدخول في الموضوع.

وأصلها أما بعد، بدليل لزوم جوابها للفاء غالباً؛ لتضمنها معنى أما الشرطية، لكن حذفت منها أما لكثرة الاستعمال، وأصل أما بعد، مهما يكن من شيء بعد.

وهي ظرف مبني على الضم؛ لقطعه عن الإضافة مع نية المضاف إليه، والتقدير: وبعد حمد الله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد أحببت أني أنظمن في علمي البيان والمعاني.... الخ **قوله: قَدْ أَحْبَبْتُ أَيِّي أَنْظِمًا:** أي: فقد قصدت ونويت أن أولف كلاماً منظوماً، والنظم ضد النشر، وهو اسم للكلام المقفى الموزون.

وقوله أَنْظِمًا، فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الخفيفة التي أبدلت ألفاً، والتقدير: أَنْظِمَنَّ، كما أبدلت ألفاً في قوله تعالى {وَلَيْنَ لَمْ يَفْعَلْ مَا أَمَرَهُ لَيَسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ} وفي قوله تعالى {كَأَلَّا لَيْنَ لَمْ يَنْتَه لَنْسَفَعًا بِالنَّاصِيَةِ}

قوله: فِي عِلْمِي الْبَيَانِ وَالْمَعَانِي: وهنا قد يرد سؤال وهو أن المؤلف يقول: إنه سيؤلف نظماً في علم البيان والمعاني، ولم يذكر علم البديع، مع كونه ذكر علم البديع في آخر هذا النظم؟ فالجواب: أن المصنف رحمه الله مشى على قول المتقدمين من علماء البلاغة أن المقصود في علم البلاغة هو علمي المعاني والبيان، وأما علم البديع هو ذيل وتتمة لهما.

قوله: أَرْجُوزَةٌ لَطِيفَةٌ الْمَعَانِي: أي: هذا النظم سيكون على بحر الرجز، هو بحر معروف من بحور الشعر العربي، وتسمى قصائده الأراجيز، ومفردتها أرجوزة، ويسمى قائله: راجزاً، وهو بحر يسير سهل وزنه: فِي أَبْحَرِ الْأَرْجَازِ بَحْرٌ يَسْهُلُ مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ.

وقوله: لَطِيفَةُ الْمَعَانِي، أي: ألفاظها قليلة لكن معاني كثيرة، وفي هذا تشويق أول لطالب العلم على حفظ هذه المنظومة من جهة ما حوته من المعاني اللطيفة التي تحمل طالب العلم على حفظها.

قوله: أَبْيَاتُهَا عَنْ مِائَةٍ لَمْ تَزِدْ: فهي مئة بيت بالتمام والكمال، وفي هذا تشويق ثانٍ لطالب علم حفظ هذه المنظومة؛ لأنه ربما نظر إلى المطولات فتكاسل عنها، فشوقه بأن هذه المنظومة مئة بين لا تزيد عنها فشمع عن ساعد الجد واحفظها.

قوله: فَقُلْتُ غَيْرَ آمِنٍ مِنْ حَسَدٍ: أي أقول أو أنظم هذه المنظومة والحال أنني لا آمن حسد حاسد عليها لكونها لطيفة المعاني، وقلية المباني.

والحسد داء يصيب القلب وهو تمني زوال النعمة عن الغير، وقد أمرنا ربنا سبحانه وتعالى من الاستعاذة منه في كتابه الكريم { قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ * وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ * وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ * وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ }

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِيَّاكُمْ وَالْحَسَدَ، فَإِنَّ الْحَسَدَ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ. أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ.

قال الناظم رحمه الله:

فَصَاحَةُ الْمَفْرَدِ فِي سَلَامَتِهِ
وَكُونُهُ مُخَالَفَ الْقِيَاسِ
مَا كَانَ مِنْ تَنَافُرِ سَلِيمَا
وَهُوَ مِنَ التَّعْقِيدِ أَيْضًا خَالِي
فَهُوَ الْبَلِيغُ وَالَّذِي يُؤَلَّفُهُ
وَالصِّدْقُ أَنْ يُطَابِقَ الْوَاقِعَ مَا
مِنْ نَفْرَةٍ فِيهِ وَمِنْ غَرَابَتِهِ
ثُمَّ الْفَصِيحُ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ
وَلَمْ يَكُنْ تَأْلِيْفُهُ سَاقِيْمَا
وَإِنْ يَكُنْ مُطَابِقًا لِلْحَالِ
وَبِالْفَصِيحِ مَنْ يُعَبِّرُ نَصْفُهُ
يَقُولُهُ وَالْكَذِبُ أَنْ ذَا يُعْدَمَا

الشرح:

تكلم الناظم رحمه الله في هذه الأبيات في عدة مسائل:

فصاحة المفرد - فصاحة الكلام - فصاحة المتكلم - بلاغة الكلام - بلاغة المتكلم - الصدق والكذب.

تعريف الفصاحة:

لغة: الظهور والإبانة، ومنه قوله تعالى {وأخي هارونُ هو أفصحُ مني لسانا}

اصطلاحاً: يختلف تعريف الفصاحة في الاصطلاح بحسب اختلاف موصوف، وذلك أن الفصاحة يوصف بها اللفظ المفرد، والكلام، والمتكلم.

المسألة الأولى: فصاحة المفرد:

قال الناظم رحمه الله:

فَصَاحَةُ الْمَفْرَدِ فِي سَلَامَتِهِ
وَكُونُهُ مُخَالَفَ الْقِيَاسِ
.....
مِنْ نَفْرَةٍ فِيهِ وَمِنْ غَرَابَتِهِ

الشرح:

أولاً: سلامة المفرد من تنافر الحروف: والتنافر في الكلمة وصف يجعلها ثقيلة على اللسان، يصعب النطق بها، بسبب تقارب مخارج الحروف.

● **تنافر شديد:** نحو قولهم: رجلٌ صَهْصَلِقُ الصوتِ، أي: ذو صوت شديد.

وسئل أعرابي عن ناقته، فقال: تركتها ترعى الهُعُحُع.

● **تنافر خفيف:** نحو قول امرئ القيس: غداؤه مستشزرات إلى العلا ***** تضل العقاص في مثنى ومرسل.

وعلاج هذا العيب يكون بتعلم علم الأدب، وبالقراءة لكتب الأدب، وسماع كلام الأدباء والفصحاء.

ثانيا: **سلامة المفرد من الغرابة:** وغرابة الكلمة كونها غير ظاهرة المعنى، ولا مألوفة الاستعمال عند فصحاء

العرب.

وأسباب الغرابة نوعان:

● **بسبب قلة استعمال الكلمة عند العرب:** كقول أبي سليمان عيسى بن عمر النحوي لما سقط عن

حماره فاجتمع عليه الناس، فقال: مالكم تكأ كأتُم عليّ كتكأ كتكم على ذي جنة، افرنقوا عني.

● **بسبب أن التوصل للمعنى المراد يحتاج لتكلف شديد:** نحو قول أبي الشعثاء عبد الله بن ربيعة

العجاج يصف أنف حبيته: ومقلة وحاجبا مزججا ***** وفاحما ومرسنا مسرجا.

فيصف أنف حبيته بأنه مسرج، فاختلفوا في معنى مسرج، فابن دريد يقول: يريد تشبيه أنف

حبيته بأنه دقيق ومستو كالسيف السرجي، المنسوبة إلى حداد يسمى سرجا.

وابن سيده يقول: يصف أنف حبيته بأنه براق ولامع كالسراج.

وعلاج هذا العيب يكون بتعلم علم اللغة - المعاجم - فيقف الطالب على مشهور الألفاظ من

غريبها، ومستعملها من غير المستعمل.

ثالثا: **سلامة المفرد من مخالفة قانون المفردات:** والمراد بقانون المفردات، أي: علم الصرف، وذلك نحو قول

أبي النجم بن قدامة: الحمدُ لله العليّ الأجلل ***** أنتَ ملكُ الناسِ ربًّا فاقبَلِ.

والقياس الصرفي أن يقال: الأجلل.

وكقول الشاعر: فلا يُبرمُ الأمرُ الذي هو حاللٌ ***** ولا يُخللُ الأمرُ الذي هو مُبرمٌ.

والقياس الصرفي أن يقال: حاللٌ - يُحللُ، وعلاج هذا العيب بتعلم علم الصرف.

فصاحة المفرد

سلامته من مخالفة قانون المفردات

سلامته من الغرابة

سلامته من تنافر الحروف

المسألة الثانية: فصاحة الكلام:

قال الناظم رحمه الله:

.....
ثُمَّ الْفَصِيحُ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ
وَلَمْ يَكُنْ تَأْلِيْفُهُ سَقِيْمًا
.....
مَا كَانَ مِنْ تَنَافُرٍ سَلِيْمًا
وَهُوَ مِنَ التَّعْقِيْدِ أَيْضًا خَالِي

الشرح:

أولاً: سلامة الكلام من تنافر الكلمات: والمراد من التنافر اجتماع كلمات يعسر ويصعب النطق بها؛ وإن كانت كل كلمة بمفردها فصيحة.

والتنافر في الكلمات نوعان:

● تنافر شديد: كقول أبي الطيب المتنبي في قصيدة يمدح فيها سيف الدولة الحمداني:

أَقْلَ أَنْلَ أَقْطَعُ أَحْمَلَ عَلِّ سَلِّ أَعِدْ ***** زِدْ هِشَّ بِشَّ تَفْضَلْ أَدْنِ سَرِّ صِلِ

فكل كلمة بمفردها فصيحة، ولكن حصل الثقل بسبب اجتماع هذه الأفعال دون حرف عطف بينها.

● تنافر خفيف: كقول أحدهم:

وقبرُ حربٍ بمكانٍ فقيرٍ ***** وليس قربَ قبرٍ حربٍ قبرُ

وكقول أبي تمام حبيب بن أوس الطائي:

ألْبَسْ ثَوْبَ الْهَجْرِ مِنْ لَوْ هَجَوْتَهُ ***** إِذَا لَهْجَانِي عَنْهُ مَعْرُوفُهُ عِنْدِي

كَرِيمَ مَتَى أَمْدَحُهُ أَمْدَحُهُ وَالْوَرَى ***** مَعِي وَإِذَا مَا لَمْتُهُ لَمْتُهُ وَحَدِي

وعلاج هذا العيب يكون بتعلم علم الأدب، وبالقراءة لكتب الأدب، وسماع كلام الأدباء والفصحاء.
ثانياً: سلامة الكلام من ضعف التأليف: أي: يكون تأليف الكلام مخالفاً لعلم النحو، وأوجه الإعراب المشهورة، نحو قول الفرزدق:

بالباعثِ الوارثِ الأمواتِ قد ضَمِنَتْ ***** إياهم الأرضُ في دهرِ الدهارِيرِ.

فهنا أتى بالضمير المنفصل مع إمكان مجيء المتصل، لضرورة الشعر، وهذا مخالف المشهور في علم النحو. ومنه: قولك: ضرب غلامه زيداً، فهو خلاف المشهور في علم النحو؛ لأن لا يجوز عود الضمير متأخر في اللفظ والترتبة.

وعلاج هذا العيب بتعلم علم النحو.

ثالثاً: خلو الكلام من التعقيد: والتعقيد كون الكلام غير ظاهر الدلالة على المعنى المراد. والتعقيد نوعان:

● **التعقيد اللفظي:** وهو التعقيد الراجع إلى اللفظ، نحو قول الفرزدق رحمه الله يمدح إبراهيم بن هشام

بن إسماعيل المخزومي، خال هشام بن عبد الملك بن مروان:

وما مثله في الناس إلا مملكا ***** أبو أمه حيُّ أبوه يقاربه.

ترتيب البيت: ما مثله في الناس حي يقاربه إلا مملكا أبو أمه أبوه.

أي: ما مثل إبراهيم بن هشام في الناس إنسانٌ حيُّ يقاربه في الفضل إلا مملكا - الذي هو هشام بن

عبد الملك - أبو أمه - أي: أبو أم هشام بن عبد الملك - أبوه - أي: أبو إبراهيم بن هشام بن

إسماعيل المخزومي.

وكقول القائل: ما قرأ إلا واحداً محمدٌ مع كتاباً أخيه، وأصل ترتيب الكلام: ما قرأ محمدٌ مع أخيه إلا كتاباً واحداً.

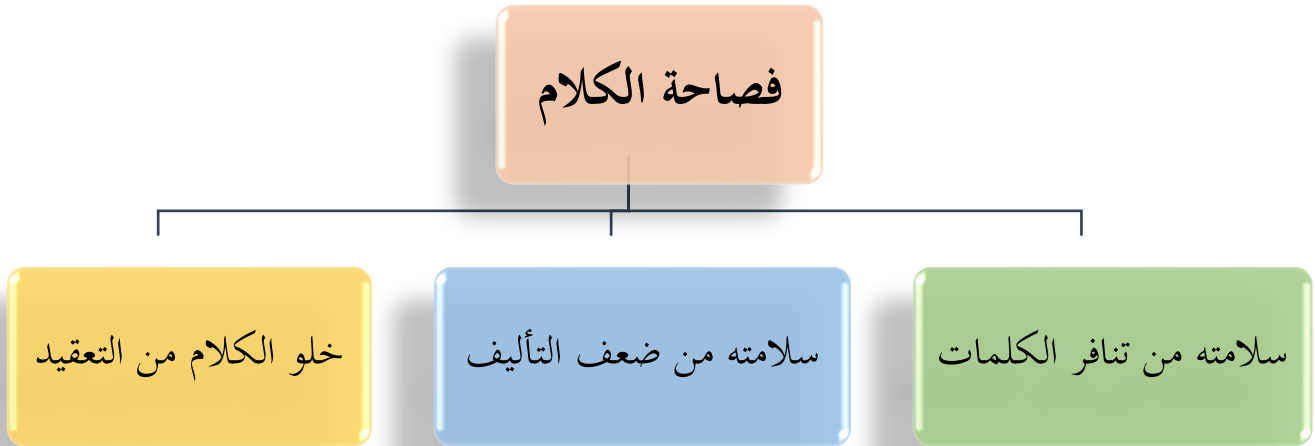
وعلاج هذا العيب بتعلم علم النحو.

● **التعقيد المعنوي:** وهو التعقيد الراجع إلى المعنى، نحو قول القائل: فتح السلطان أبواب السجون.

فظاهر العبارة أن السلطان أخرج المساجين من السجن بإصدار عفو عام عنهم، ولكن هنا قصد أن

السلطان نشر جنوده لملاحقة خصومه حتى يدخلهم السجن.

ومنه قول العباس بن الأحنف: سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا **** وتسكب عيناى الدموع لتجمدا.
وعلاج هذا العيب بتعلم علم البيان.



البلاغة

قال الناظم رحمه الله:

وَأِنْ يَكُنْ مُطَابِقاً لِلْحَالِ
فَهُوَ الْبَلِيغُ وَالَّذِي يُؤَلِّفُهُ

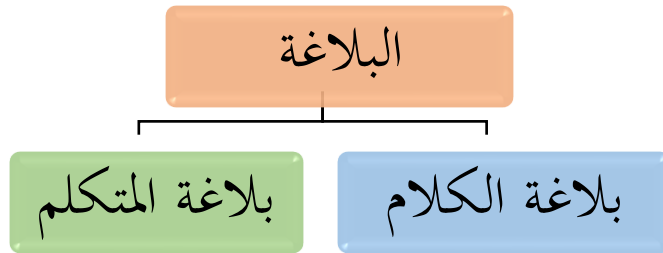
الشرح:

بعد أن انتهى المصنف رحمه الله من الكلام عن الفصاحة، بنوعيتها، فصاحة المفرد والمتكلم، شرع في الكلام عن البلاغة، ثم ذكر النوع الثالث من الفصاحة وهي فصاحة المتكلم، وإن كان الأولى تقديمها قبل الشروع في البلاغة؛ لأن ذاك موضعها.

تعريف البلاغة:

لغة: بلغ الشيء إذا وصل إلى غايته ومنتهاه.

اصطلاحاً: يختلف تعريف البلاغة، بحسب اختلاف موصوفها، فالذي يوصف بالبلاغة، الكلام، والمتكلم، فيقال: كلام بليغ، ومتكلم بليغ، ولا توصف الكلمة بالبلاغة، فلا يقال: كلمة بليغة، بل توصف بالفصاحة، فيقال: كلمة فصيحة.



المسألة الثالثة: بلاغة الكلام:

قال الناظم رحمه الله:

وَأِنْ يَكُنْ مُطَابِقاً لِلْحَالِ
فَهُوَ الْبَلِيغُ

الشرح:

بلاغة الكلام: مطابقة الكلام الفصيح لمقتضى الحال.

نحو قولك لمن يشك في الرزق: إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرزاق الكريم.

الحال	المقتضى	الكلام الفصيح	مطابقة الكلام لمقتضى الحال
الشك	تأكيد الكلام	إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرزاق	الشك يحتاج إلى تأكيد

ونحو قولك لمن ينكر البعث: إن الله لمحي الموتى.

الحال	المقتضى	الكلام الفصيح	مطابقة الكلام لمقتضى الحال
الإنكار	زيادة تأكيد الكلام	إن الله لمحي	الإنكار يحتاج إلى زيادة تأكيد

ونحو خطاب الله عز وجل لبني إسرائيل:

في سورة البقرة { يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ }
وفي سورة الجمعة { مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ }

ومن هنا نفهم أنه لا تعارض بين قوله تعالى { فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى } وبين قوله { وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلِ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا (١٠١) قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَمَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا (١٠٢) فَأَرَادَ أَنْ يَنْتَفِرَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا }

المسألة الرابعة: بلاغة المتكلم:

قال الناظم رحمه الله:

..... وَالَّذِي يُؤَلِّفُهُ

بلاغة المتكلم: ملكة يقتدر بها على تأليف كلام بليغ.

وظاهر كلام المصنف رحمه الله، أنه بمجرد أن يتكلم بكلام بليغ، يقال عنه بليغ، والحال ليس كذلك، بل لا بد أن تكون ملكة أو هيئة في النفس راسخة، يقدر من خلالها تأليف الكلام البليغ.

المسألة الخامسة: فصاحة المتكلم:

قال الناظم رحمه الله:

..... وَبِالْفَصِيحِ مَنْ يُعَبِّرُ تَصِفُهُ

عرف المصنف فصاحة المتكلم: بأنه الذي يعبر عن مقصوده بلفظ فصيح.

وفي هذا التعريف نوع من القصور، فليس كل من يتكلم بكلام فصيح يكون فصيحاً، بل فصاحة المتكلم: ملكة يقتدر بها على التعبير عن مقصوده بلفظ فصيح، وهذا أمر نسبي، فقد يكون المتكلم فصيحاً في باب، غير فصيح في باب آخر.

المسألة السادسة: الصدق والكذب

قال الناظم رحمه الله:

وَالصِّدْقُ أَنْ يُطَابِقَ الْوَاقِعَ مَا يَقُولُهُ وَالْكَذِبُ إِذَا يُعْدَمَا

الشرح:

بعد أن انتهى المصنف رحمه الله من الكلام عن الفصاحة والبلاغة، عقب بذكر مسألة العادة أنها تذكر عند الكلام على الإنشاء في علم المعاني، فهي في الحقيقة ليست من مقدمات علم البلاغة، فمن مسائل علم المعاني ما يسمى بالإنشاء، وهو ما لا يحتمل الصدق والكذب لذاته، وعكسه الخبر وهو ما احتمل الصدق والكذب لذاته، فهنا يرد السؤال ما هو الصدق وما هو الكذب؟ فأجاب المصنف رحمه الله بذكر تعريف الصدق والكذب.

الصدق: هو مطابقة الكلام للواقع دون النظر لاعتقاد المتكلم.

الكذب: هو عدم مطابقة الكلام للواقع دون النظر لاعتقاد المتكلم.

- اعتقد أن الكوفة في العراق، وقال: الكوفة في العراق، فهذا صدق؛ لأنه طابق الواقع.
 - اعتقد أن الكوفة في الحجاز، وقال: الكوفة في العراق، فهذا صدق؛ لأنه طابق الواقع، وإن كان مخالفا لاعتقاده.
 - اعتقد أن الكوفة في العراق، وقال: الكوفة في الحجاز، فهذا كذب؛ لأنه خالف الواقع، وإن كان موافقا لاعتقاده.
 - اعتقد أن الكوفة في الحجاز، وقال: الكوفة في الحجاز، فهذا كذب؛ لأنه خالف الواقع.
- من هنا نفهم حديث النبي صلى الله عليه وسلم، فعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن كذبا عليّ ليس ككذب علي أحد، من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار" خ.م.

فالنبي صلى الله عليه وسلم قسم الكذب باعتبار الإثم إلى قسمين:

- **كذب فيه الإثم:** مخالفة الواقع، مع التعمد.

● **كذب لا إثم فيه:** مخالفة الواقع دون التعمد، ومنه أن رجلاً من بني كنانة يدعى المخدجي سمع

رجلاً بالشام يكنى أبا محمد يقول: إن الوتر واجب، فقال المخدجي: فرحت إلى عبادة بن الصامت فاعترضت له وهو رائح إلى المسجد فأخبرته بالذي قال أبو محمد، فقال عبادة: كذب أبو محمد! سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "خمس صلوات كتبهن الله عز وجل على العباد فمن جاء بهن لم يضيع منهن شيئاً استخفافاً بحقهن كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة، ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد إن شاء عذبه وإن شاء أدخله الجنة"

قال الناظم رحمه الله:

فَصَاحَةُ الْمَفْرَدِ فِي سَلَامَتِهِ
وَكَوْنُهُ مُخَالَفَ الْقِيَّاسِ
مَا كَانَ مِنْ تَنَافُرِ سَلِيمَا
وَهُوَ مِنَ التَّعْقِيدِ أَيْضًا خَالِي
فَهُوَ الْبَلِيغُ وَالَّذِي يُؤَلَّفُهُ
وَالصِّدْقُ أَنْ يُطَابِقَ الْوَاقِعَ مَا
مِنْ نَفْرَةٍ فِيهِ وَمِنْ غَرَابَتِهِ
ثُمَّ الْفَصِيحُ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ
وَلَمْ يَكُنْ تَأْلِيْفُهُ سَقِيمَا
وَإِنْ يَكُنْ مُطَابِقًا لِلْحَالِ
وَبِالْفَصِيحِ مَنْ يُعَبِّرُ نَصْفُهُ
يَقُولُهُ وَالْكَذِبُ أَنْ ذَا يُعْدَمَا

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم